إننا قدرون

قصة للكاتب السلفادوري « سالاروبيو »

ترجمة عايدة مطرجي ادريس

بذل غويو غويستاس وابنه جهدهما فانطلقا يصطحبان الفونوغراف الى هندوراس . وكان العجوز يعلق الصندوق على ظهره . وكان الصبي يحمل كيس الاسطوانات والبوق الملتوي الذي كان يشبه جرسا كبيرا : انها زهرة عجيبة من الحديد الابيض كان يفوح منها عطر موسيقي.

ـ يقال ان المال يفيض في هندوراس .

ـ اجل يا بابا . ويقولون ايضا انهم هناك لا يعرفون ما هو الفونوغراف .

ـ اسرع الخطى. فمنذ أن غادرنا ميتابان وانت تجر خطاك!

ـ اه ! ذاك ان الحزام يسبب لي الما في ظهري

ـ شده الى الصدر ، ولا تكن أبله .

وكانا يتوقفان ليقيلا تحت الصنوبر المضمخ المصدي . وفي غابة الزعرور ، كانت جرذان الحقول تقرض طعامها وهي جالسة على مؤخرتها بصمت قلق . وهاهما قد وصلا الى شاملسون المتوحشة . وكانا قد شاهدا في مناسبتين آثار الحية كرنتيا الضيقة ضيق سير من الجلد . وفي اثناء القيلولة ، بينما كانا يأكلان العجة وجبنة « القديسة روز » أدارا الفونوغراف على رقصة فوكس ـ تروت وبقيا ثلاثة ايام يمشيان وقد لطخهما الوحل حتى الركبتين . وكان الصبي يبكي والاب يشتم ويضحك بين فترة واخرى .

وكان كاهن سانت روز قد نصح غويو أن لا ينام تحت اكواخ الزنوج المتوحشين، لان عصابات السارقين كانت دائما منهمكة في بحثها عن المسافرين . ولهذا فقد دلفا الى الجبل عندما هبط المساء . ونظفا مكانا صغيرا تحت سفح شجرة ، وامضيا هنالك الليل ، وهما يصغيان الى صرير الصراصير والى طنين البرغش ذي المؤخرات الزرق الضخمة كالعناكب . وكانا يصغيان من دون ان يتجرا على التنفس وهما يرتجفان من البرد والخوف .

ـ بابا ، هل يوجد هنا حيات ؟

ـ لا يا ولدي ، لقد فحصت الجذع عندما كان الليل يهبط . وليس هناك من ثقوب .

ـ ان كنت ستدخن ، فدخن تحت قبعتك يا بابا . فان شاهدوا البصيص فانهم سيجدوننا .

ـ اجل يا ولدي . كن مطمئنا ونم .

ـ ذاك انني لا استطيع وانا مقرفص ان انام على التو .

ـ تمدد اذن.

ـ لا استطيع . فالبرد اقسى من ان يحتمل .

ـ انك تزعجني اخر الامر . التصق بي اذن .

وضم غويو ، وهو الذي لم يداعب في حياته مرة واحدة ولده ، ضمه الى صدره ذي الرائحة الكريهة ، القاسي كانه فراش حزائم ، وادفاه حتى نام على صدره وهو يحيطه بذراعيه بينما كان ينتظر ، ووجهه متشنج من الاستسلام ، ان يعلن الفجر اول صياح لديك بعيد .

وشاهدتهما الاضواء الاولى هناك ، وهما نصف مجلدين متوجعين ، مخدرين من البرد ، فاغري الفم البشع واللاعب، وقد تقلصا نصف تقلص على الغطاء الممزق الوسخ المخطط كحمار وحشي .

ولكن الهندوراس فسيح في شاملسون . الهندوراس فسيح في سر حياته المخيفة ونموره الاميركية ، وحشراته، فسيح في سر حياته المخيفة وغوره الاميركية ، وحشراته، ورحاله . فقانونه لا ينفذ الى شاملسون وعدالته لا تصل الى هناك . ففي هذه المنطقة يتركون للرجال ولسائر الحيوانات الاجتهاد في ان يكون طيبين او سيئي القلب كما هو الحال في العصور الاولى ، ويتركون لهم ان يكونوا قساة او شهماء، ان يقتلوا او ان يعفوا حسب اهوائهم . ومن الواضح ان لحق هو بجانب الاقوى .

*

ودخل اللصوص الاربعة عبر السياج وجلسوا في المكان الصغير الذي يمتد امام الكوخ المتوحد توحد غريق في مكان متوحش مفروش بالقصب .. ووضعوا الصندوق في الوسط وحاولوا ان يدمجوا البوق . وكان البدر يعكس بروقا فضية على الالة . وكان يتدلى من عارضة في الكوخ قطعة من زهر العسل الفاسدة .

ـ انني اقول لك انك فونوغراف

ـ هل رايت كيف يديرونه ؟

ـ بكل تأكيد . لقد رايت ذلك في بساتين الموز .

وخن البوق ، وادار اللص اليد . وآذ فتح كيس الاسطوانات أخذ يخرجها على ضوء القمر كانها اقمار سوداء .

واخذ اللصوص يضحكون ، كانهم اطفال كوكب غريب. وكان بياض ثيابهم القطنية ملطخا بشيء يشبه الوحل ، وكان دما .

الى سوادعينين ..

١ ـ الصحو المخمور

انت ، ما ترنين ، شيء
ليس لي عهد به
في وجودي يتململ
وضبابياً ، ومن لون الصحاري
وحبيبات الندى في موق فلّه،
وصفاء الابيض النعسان في اثوابه ،
ابدا القاه ، يرميني على
شطآن لا ادري مداها
ليل عينيك وارحل :
ويعاطيني فا ثمل
خمرة لم تجر ريّاها
بأذهان الكروم .
المجاذيف التي تشكو ضناها
لم تعد تسأل عن أين المآل
حسبها ان نداءات من المجهول
تأتيها ، فتنساب وراها ،
ويضج الحدس في اعراقها
رجع تعلّه !
انها تمضي لكي تلقي الها
خلف هذا الارحب المزروع
ألوان مواعيد ،
وصحوا ومواويل ودفئا واهلّه

.....

٢ ـ الوهن العاني

وانا ، احمل في ضلعي ما
ليس يقال ،
ليس يوصف ،
ترتمي الاحرف ، تبكي
الوهن العاني ، وتضعف
تبهت الحاء ، وتشقى الباء ،
كي توضح ما ليس يعرّف .
ولدن يبسم نوار ،
وتخضل مواعيد النوال
يهزج الشيء الذي ، في
عمق اعماقي ويهتف
وتمد الحاء كفا ،
وتمد الباء اضلاع السلال ،
يالبؤس الاحرف العاجزة
البلهاء كم تشكو الكلال ،
فاصمتي ، يا كل ما في الارض ،
حسبي ان ماأحمله
في مجد كبره ،
لايقال
او يعرّف ،
ولعينيك ، لهذا الوهن العاني
سأبكي دمعتين

دمشق — **خليل الخوري**

وفي المجرى القريب غدا غويو وابنه قطعا ممزقة في مناقير الصقور. وكانت الوشوم قد وسعت جروحهما. فلعل مزيج الرمل والدم والثياب والسكون واوهامهما التي جرراها من البعيد البعيد لعلها كانت تسمن صفصافة او تغذي صنوبرة .

وانغرست الابرة في الثلم . وارتفعت الاغنية في النسيم الفاتر كانها شيء مسحور . وجمدت احراج الجوز في البعيد عروقها واخذت تصغي . وكانت نجمة المساء تبدو وكأنها تكبر وتصغر كما لو كانت معلقة بخيط ثم غمست وهم يرفعونها او ينزلونها في ماء الليل الهادىء.

وكان رجل ذو صوت فتي يغني اغنية حزينة على الغيتار ، وكانت اغنيته ذات نبرات شاكية وغصات حب وعظمة . وكانت انغام الغيتار المنخفضة تئن وهي تنهد من الرغبة . وكانت المغنية الصغيرة تشكو ظلامة وهي يائسة .

وعندما توقف الفونوغراف تبادل اللصوص الاربعة النظرات واطلقوا زفرة .

واخذ احدهم يبكي على الغطاء . وكان الاخر يعض شفته . واكبرهم سنا كان يتأمل الارض الموحلة حيث كان يجلس على ظله ـ ثم قال بعد ان فكر طويلا :

ـ اننا قذرون !

واخذ سارقو الطعام والحيوات يبكون كأنهم اطفال كوكب غريب .

ترجمة عايدة مطرجي ادريس